

معركة مجدو

مقدمة

تحتس الثالث هو الفرعون المصري الذي أسس امبراطورية مصرية على أسس راسخة دامت أكثر من قرن من الزمان. وعلى مدار عشرين سنة (١٤٦٨ - ١٤٣٦ ق.م.) قاد تحتس الثالث حملات عسكرية إلى آسيا كل سنة تقريباً، وقد زاد عدد هذه الحملات عن ست عشرة حملة. وتضمنت بعض هذه الحملات مواجهات جديدة، وبعضها من قبيل استعراض القوة (Nelson, 1913, Pritchard 1958: 175). ويحتوي نص تحتس الثالث، الذي نحن بصدده، حول معركة مجدو على معلومات مفصلة حول حملته الأولى، التي جرت ربما سنة ١٤٦٨ ق.م. والتي هاجم فيها الجيش المصري القوة الآسيوية في مدينة مجدو الكنعانية.

والحواليات التي تصف حملة تحتس الثالث منقوشة على جدران معبد الكرنك في مصر (Lange, Hirmer 1985) وتسجياً للأنصارات التي أحرزها بعون آمون رع. فبمجرد اعتلاء تحتس الثالث العرش فقد اضطر إلى التصدي للثورة التي اجتاحت الإمارات الآسيوية المتحالفة في أعقاب وفاة «حتشبسوت». وقام هذا التحالف الذي تزعمه كل من أمير قادش وأمير مجدو بتحريض من الدولة الميتانية، على ما يبدو. وتمثل ميتاني حضارة «الحوريين» المعاصرة للكاشيين في بابل، الذين قامت إمبراطوريتهم على أنقاض إمبراطورية حمورابي، وبلغت أوج عظمتها في القرن الخامس عشر ق.م. ويقع مركز الإمبراطورية الميتانية في المنطقة الواقعة بين دجلة والفرات جنوب جبل طوروس، ويمتد ليشمل سوريا وكرديستان شمالاً، وصولاً إلى أطراف فلسطين. وهي المنطقة التي شهدت المواجهة بين الإمبراطورية الميتانية والإمبراطورية المصرية من عهد الفرعون المصري احمس (جريمال ٢٧٤: ١٩٩٣). دشنت تحتس في المعركة التي خاضها ضد تحالف المدن الكنعانية أولى سنوات حكمه، محرراً نصرًا مؤزرًا، أمن من خلاله السيطرة المصرية على كنعان في عهد المملكة الحديثة.

تشير الدلائل الأثرية والمصادر الكتابية إلى العلاقات الوثيقة بين مصر وكنعان على مدار العصر البرونزي. وقد ظهرت الدلائل الحضارية المصرية في السياقات الأثرية الفلسطينية مع بداية الألف الثالث ق.م. وتدل الأختام المصرية المكتشفة في أريحا على أن ثمة روابط تجارية كانت قائمة بين البلدين. كما أن صور القوافل الكنعانية المصورة في قبور بني حسن من عهد المملكة الثانية عشرة. (القرن التاسع عشر ق.م.) لدليل آخر على عمق هذه الروابط. أما درجة السيطرة المصرية على كنعان فتوضحها الدلائل

الأثرية (Thopmson 1979, Aharoni 1979: 39 - 94). وتحمل نصوص اللعنات المصرية، أيضاً، القليل من المعلومات. وأظهرت التنقيبات الأثرية مسلات و تماثيل مصرية من عهد المملكة الوسطى في أوغاريت وجبيل وبيروت على الساحل الفينيقي، ومجدو وبيسان، وتل وقاص وتل الجزيري وتل العجول في فلسطين.

وفي العصر البرونزي الوسيط (١٩٥٠ - ١٥٥٠ ق.م.)، وهي الفترة التي تعرف في المصادر التاريخية بفترة حكم الهكسوس في مصر وفلسطين، هناك القليل من المصادر الكتابية التي تلقي الضوء على الأوضاع في هذه الفترة. ويبدو أن الحكام الهكسوس، وهم عبارة عن أرستقراطية عسكرية من أصل آسيوي، قد أخضعوا مصر وفلسطين لحكمهم إبان حكم المملكة الخامسة عشرة.

كانت فلسطين قد شهدت في العصر البرونزي الوسيط (١٩٥٠ - ١٥٥٠ ق.م.) انتعاشاً حضارياً ملموساً، وعودة حضارة التمدن في المراكز المدينية، التي هجرت في الفترة الإنتقالية بين العصر البرونزي المبكر والعصر البرونزي الوسيط. وتدل آثار المدن الكبيرة، بتحسيناتها القوية المكتشفة في تل وقاص وأريحا ومجدو وثلعك وتل دونان وتل بلاطة وبتين والقدس وتل الدوير، على حدوث هذا الانتقال النوعي.

كما شهد العصر البرونزي المتأخر (١٥٥٠ - ١٢٠٠ ق.م.) استمراراً لحضارة العصر البرونزي الوسيط. ورغم سقوط حكم الهكسوس فقد بقيت دويلات المدن الكنعانية تحت التأثير السياسي المصري الذي استمر على مدار المملكة المصرية الجديدة. وتميزت هذه الفترة بانتعاش التجارة الدولية، تشهد على ذلك كثافة المواد الحضارية المكتشفة في السياقات الأثرية الفلسطينية في هذه الفترة، بما في ذلك الجرار الكنعانية المكتشفة في المواقع المصرية نفسها، وهي الجرار التي حملت الزيت والنبذ إلى مصر. هذا بالإضافة إلى الرسوم المرية التي تصور الحركة التجارية البحرية النشطة بين فلسطين ومصر. ويستشف من النص بأن معركة مجدو كانت واحدة من المعارك الفاصلة في تاريخ العلاقات بين مصر والشمالين. ويحتوي نقش تحتتمس على معلومات تاريخية وطبوغرافية ثمينة تلقي الضوء على الوضع السياسي والإقتصادي في فلسطين وسوريا في أواسط الألف الثاني ق.م. وحسب نقش تحتتمس فقد شارك في الحرب ما يزيد عن مائة من المدن الكنعانية. وقاد المعركة عن الجانب الشمالي ملوك قادش الواقعة على نهر العاصي وملوك مجدو. ويعتبر هذا أكبر تحالف للملوك الكنعانيين جرى تنظيمه ضد النفوذ المصري. ولا شك بأن هذا التحالف كان مدعوماً من المملكة الميتانية في محاولة لتحدي السلطة المصرية في كنعان.

ويبدو أن ثورة عارمة قد اجتاحت كنعان ضد النفوذ المصري من يرزا (تل جمعة) جنوباً وحتى نهاية العالم، أي من حدود كنعان الجنوبية وحتى حدود السيطرة المصرية في سوريا (Albright 1949, Kenyon 1979, Aharoni 1979) كما جاء في مقدمة حولية تحتتمس الثالث. ويتضح بأن حامية مصرية قد حافظت على موقعها الأخير في شارو حين ويعرف بتل الفارعة الجنوبي، وهو نفس الموقع الذي كان محط الأنظار في خط الدفاع الهكسوسي. ويسمح النص بتتبع المحطات الرئيسية في سير الحملة من مصر إلى فلسطين. ومن سيلا، وهي الحصن الحدودي الرئيسي شرق الدلتا، إلى غزة عند الحدود المصرية، قطع

الجيش المصري مسافة ١٥٠ ميلاً في تسعة أو عشرة أيام، وهي سرعة كبيرة، بما يشير إلى أن الجزء الجنوبي من الطريق الساحلي «فيا مارس» كان تحت السيطرة المصرية التامة. ويشير النص إلى غزة كمدينة تقع تحت السيطرة المصرية ولدورها كقاعدة مصرية رئيسية في كنعان.

أما المحطة الرئيسية الثانية في الحولية المصرية فهي مدينة يخم (خربة يمنا) الواقعة في سهل سارونا، جنوب غرب الكرم. وقد قطع الجيش المصري مسافة الـ ٧٥ ميلاً بين غزة ويخم في أحد عشر أو اثني عشر يوماً. مما يدل على أن تقدم الحملة كان بطيئاً، ربما للمخاطر التي ينطوي عليها السير في بيئة معادية، بما يملي المحافظة على التثام الجيش قدر الإمكان، إضافة لوعورة الطريق أيضاً. وفي يخم عقد الفرعون المصري اجتماعاً تشاورياً مع قائده، لتقرير الطريق التي سيسلكها الجيش المصري من سهل سارونا إلى سهل مرج ابن عامر. وقد أوصى قادة الجيش بسلوك الطريق الجنوبي المفضي إلى السهل بالقرب من تعنك، أو الطريق الشمالي الذي ينطلق من سهل سارونا إلى الشمال من زفت (خربة ست ليلي)، ويصل سهل مرج ابن عامر إلى الشمال من مجدو. وحذر قادة الجيش تحتتمس من مغبة سلوك الممر الضيق في أرونا، وهو معبر وادي عارة. ودعموا تخوفاتهم بمعلومات استخبارية، تفيد بأن العدو يترقبهم عند مخرج هذا الوادي.

ويتضح بأن تحتتمس الثالث لم يستمع إلى نصائح قائده العسكريين، وقرر سلوك أقصر الطرق عبر وادي عارة، محققاً بهذه المجازفة العسكرية عنصر المباغتة ضد قوات التحالف الكنعاني. وعندما دلفت طلائع قواته السهل، وأمكن له تجميع جيشه عند جدول كينا، وتبين له بأن قوات التحالف الكنعاني قد تركت هذا المعبر الإستراتيجي بالقرب من مجدو دونما حماية، تنفس تحتتمس الصعداء مهلاً؛ لقد هزموا!!، متيقناً من نتيجة المعركة قبل أن تبدأ. ويعكس قلق تحتتمس الشديد على مؤخره الجيش تخوفه من مبادرة التحالف الكنعاني إلى الهجوم قبل تجميع قواته. أما قوات التحالف الكنعاني فقد كانت تنتظر قدومهم من الطريق الأخرى، لتتقلب حساباتها رأساً على عقب. وهكذا يتضح بأن خطة التحالف الكنعاني لاستدراج الجيش المصري إلى السهل، ثم الهجوم المباغت عليه، لم تفلح بسبب عجزه عن رصد تحرك الجيش المصري الجرار، وبسبب توزيع القوات على المعابر التي لم يطررها الجيش المصري، إذ كانوا ينتظرون بكمائتهم عند المعبر الجنوبي الأمر الذي أسهم في حسم المعركة قبل أن تبدأ فعلياً.

ويبدو أن المعركة التي دارت رحاها في سهل مرج ابن عامر بالقرب من مجدو كانت قصيرة جداً، انتهت بانتصار مصري مبین. كما أن خطة الكنعانيين الحربية، التي اعتمدت على استخدام العربات، لم تفلح أمام جنود الخيالة والمشاة المصريين الأكثر قدرة على المناورة. وتشمل قائمة الغنائم الطويلة التي استولى عليها الجيش المصري في المعسكر الكنعاني خارج أسوار المدينة ٩٢٤ عربة حربية وكميات كبيرة من العتاد الحربي والمؤنة.

ويعترف النص بأن المهاجمين المصريين لم يستفيدوا تكتيكياً من انهزام المدافعين واللاحق بفلولهم للإستيلاء على المدينة قبل تحصنهم فيها، مما أطل أمد المعركة. ذلك أنهم انشغلوا بجمع الغنائم من ساحة المعركة، دون أن يستفيدوا من حالة الفوضى التي دبت في صفوف قوات التحالف الكنعاني، بما منح المهزومين فرصة التحصن داخل المدينة.

دام حصار المدينة سبعة شهور. ويصف النص كيف قاسوا داخل المدينة التي يحيط بها خندق، والمسيجة بالخشب من أشجارها الجميلة. ورغم أن وصف الحصار الذي ضربه الجيش المصري على المدينة كان مقتضباً للغاية، فإنه يمكن الإستشفاف أن تحتمس الثالث كان يبني أهمية كبيرة على فتح المدينة. يظهر هذا في معرض تعبئة الجيش بقوله: الإستيلاء على مجدو كالإستيلاء على ألف مدينة، وذلك في إشارة إلى المكانة الخاصة والقيادية التي كانت تحظى بها مجدو بين دول المدن الكنعانية. وإلى غناها الذي يظهر في قائمة الغنائم الطويلة التي استولى عليها الجيش المصري. لم يشر النص إلى أية معارك جديّة، وانتهى الأمر بالمدافعين إلى اختيار طريق الإستسلام على ما يبدو.

ويبدو أن تحتمس الثالث لم يكن على عجلة من أمره، فبعد فوزه في المعركة الأولى الحاسمة، أشغل جيشه في حصاد محصول مرج ابن عامر الناضج للقطف في هذا الموسم من السنة، معززاً أماكنه جيشه اللوجستية، ومضعفاً قدرة الخصم على مقاومة الحصار. وتشير قائمة تحتمس الثالث إلى كميات المحصول الوفيرة التي تمكّن الجيش المصري من الإستيلاء عليها. كما أن الحصار المحكم الذي ضربه حول المدينة لمدة سبعة شهور كاملة، وقطع الإمدادات عنها قد جعل منها هدفاً سائغاً للجيش الغازي. ولعل هروب عدد من الجياع إلى صفوف الجيش المصري كان الدليل على الحالة الميؤوسه التي وصلتها المدينة من ناحية عسكرية. ان الرواية التي بأيدينا هي رواية المنتصر، وهي رواية ليست محايدة بأي حال. ولكن يمكن الإستنتاج أن مقاومة المدينة في ظل الحصار الشامل، وخصوصاً قبل جني محصول السنة، هي مقاومة لا يستهان بها، ضمن كافة المعايير.

وقد تبع الإستسلام سيطرة الجيش المصري على المدينة وممتلكاتها، التي يبدو أنها استسلمت دون قيد أو شرط. وقام المصريون بإعادة ترتيب الأوضاع استناداً إلى عناصر موالية، بما يضمن بقاء السيطرة المصرية، ولم يتدخلوا هم في إدارة الشؤون الداخلية للمدن الكنعانية، وتركوا أمر ذلك لدويلات المدن نفسها، مع بقاء حامية مصرية أحياناً.

وعندئذ استطاع تحتمس الثالث أن يواصل سيره إلى صور، وفي الطريق استولى على مدن ينعمو ونوجس بالقرب من حلب ومرنكارو. وهكذا نجح في تحطيم الجناح الغربي للتحالف الشمالي. ثم أخذ يتقدم صوب المرافئ التقليدية التي تطل على البحر الأبيض المتوسط لتأمين التجارة البحرية. ومع سقوط مجدو خضع الملوك الكنعانيون للسلطة المصرية مجدداً، وسيق أطفال الأمراء وإخوتهم كرهائن إلى مصر. وكان إذا ما مات أمير إحدى اعتاد الفرعون المصري أن يعين واحداً مكانه ممن تربوا في البلاط المصري، ضامناً بذلك ولاءهم لمصر.

إن قائمة الغنائم الطويلة التي أعدها الجيش المصري وتشمل العتاد الحربي والممتلكات والمحاصيل تشي بالدوافع الاقتصادية للحملة العسكرية المصرية، إلى جانب السيطرة السياسية المصرية على أرض كنعان الخصبة. ويذكر النص ما يزيد عن مئتي ألف من أكياس الحبوب التي أرسلت إلى مصر، إضافة إلى أعداد كبيرة من الماشية، كالأغنام والأبقار والخيول. ثم الممتلكات الثمينة من الفضة والذهب والبرونز والعاجيات والأحجار الثمينة، التي لا بد وأنها نهب من ممتلكات قصر ملك مجدو. إن هذه القائمة تعكس حالة الثراء التي تمتعت بها المدينة التي استفادت من موقعها في سهل مرج ابن عامر الخصيب، والذي

كان بمثابة سلة غذاء فلسطين على مدار التاريخ.

ونكمن الأهمية الخاصة لهذا النصّ في احتوائه على أقدام القوائم الطبوغرافية بأسماء الأماكن في فلسطين وسوريا، وهو من هذه الناحية أكثر المصادر المصرية اكتمالاً. ويحتوي على ١١٩ اسماً للأماكن التي سيطر عليها تحتتمس الثالث، بعد نصره في معركة مجدو. وتشكل هذه القائمة أساساً لتعريف الأسماء التاريخية. وقد حذا الفرعنة المصريون بعد ذلك، من المملكة الثامنة عشرة وحتى المملكة العشرين حذو تحتتمس الثالث في تخليد أعمالهم وانتصاراتهم. وهكذا أسهم خلفاؤه، وهم سيتي الأول ورعمسيس الثاني، إسهامات كبيرة في معارفنا الطبوغرافية حول فلسطين في العصر البرونزي. وليس من السهل الافتراض بأن قوائم الأسماء المذكورة في النصّ تتبع نظاماً معيناً، ولكن تتبع سير الحملة محفوظ في هذه القائمة. ورم ملاحظة بعض التقسيمات الجغرافية من خلال تقارب الأسماء فإن قائمة المدن لا تتبع بالضرورة تسلسل سقوطها.

مجدو (تل المتسلم)

تعرف مجدو بتل المتسلم في سهل مرج ابن عامر. وقد ذكرت لأول مرة في حوليات الفرعون تحتتمس الثالث الذي غزا المدينة سنة ١٤٦٨ ق.م، كما يشير النصّ الذي نحن بصدده. وتعتبر مجدو أحد أهم المدن الكنعانية في شمال فلسطين. وتقع على ارتفاع ٦٠ متراً فوق مستوى السهل المحيط بها. وقد توسعت المدينة في مراحل لاحقة. ومنح لها موقعها الاستراتيجي، عند النقطة التي يفضي فيها وادي عارة إلى سهل مرج ابن عامر، سيطرة استراتيجية على الطريق الدولي القديم «فيا مارس»، الذي يعبر سهل سارونا على الساحل مروراً بسهل مرج ابن عامر عبر وادي عارة. ويبدو أن هذا الموقع قد جعلها مطعماً للغزاة، ومسرحاً للمعارك الكبيرة في الأزمنة القديمة.

أظهرت التنقيبات في تل المتسلم بأن مجدو كانت مدينة محصنة في العصر البرونزي المبكر والعصر البرونزي الوسيط (الألفين الثالث والثاني ق.م.)، وأنها ذات أهمية كبيرة، رغم أن أول ذكر لها يعود للقرن الخامس عشر ق.م. في نصّ تحتتمس الثالث الذي نحن بصدده، حين قادت المدينة تحالفاً من المدن الكنعانية للاطاحة بالنفوذ المصري في كنعان في المعركة التي جرت عند وادي اللجون بالقرب من مجدو. وبعد نصر تحتتمس الحاسم أصبحت مجدو قاعدة مصرية رئيسية في سهل مرج ابن عامر.

وتدل ثلاثة من النصوص القديمة (Davis, 1986, Aharoni and Shiloh 1993: 1003-24) على أهمية المدينة وقوتها العسكرية. في إحدى رسائل تل ثعنك هناك أمر ملك ثعنك بإرسال الرجال والجزية لملك مجدو. كذلك ورد اسمها في وصف حملة أمنحوتب الثاني الثانية على فلسطين (حوالي ١٤٣٠ ق.م.) التي انتهت في منطقة مجدو. وفي إحدى رسائل تل العمارنة، طلب ملك مجدو من الفرعون المصري إعادة الحامية المصرية التي كانت مرابطة في المدينة.

كما ذكرت مجدو في قائمة مدن سيتي الأول. وفي رسائل تل العمارنة أيضاً أرسل بيريديا ملك مجدو ست رسائل إلى الفرعون المصري ذات مضمون اقتصادي. وفي بريدية أنستازي الأول التي يعود تاريخها لفترة حكم رعمسيس الثاني، ذكرت مجدو في معرض الوصف التفصيلي للطريق من المدينة إلى السهل

الساحلي عبر وادي عارة.

ويصف العهد القديم مجدو كأحد المدن الكنعانية الرئيسية في سهل مرج ابن عامر. وفي سفر القضاة (الإصحاح الخامس: ١٩)، ذكرت مجدو في نشيد ديبورا «جاء الملوك، وحاربوا ملك كنعان، عند مياه مجدو». وهي المدينة الكنعانية التي لم تسيطر عليها قبيلة منسيّ حسب العهد القديم. ويشير سفر الملوك الأول (الإصحاح التاسع: ١٥) إلى مجدو كإحدى المدن التي خضعت لحكم الملك سليمان.

وحافظت مجدو لاحقاً على مكانتها كمدينة رئيسية في شمال فلسطين. وقد سيطر الفرعون المصري شيشانق على المدينة حوالي ٩٢٥ ق.م. وفي الفترة الآشورية، سيطر تغلات بلاسر ملك آشور على شمال فلسطين، وأصبحت مجدو عاصمة للمقاطعة الآشورية «مجيدو»، والتي ضمت سهل مرج ابن عامر ومنطقة الجليل. ومع نهاية القرن السابع ق.م. اضمحلت أهمية المدينة ذات التاريخ الطويل لتدخل غياهب النسيان. ولكن الأهمية الإستراتيجية لوادي عارة لم تتغير. وفي الفترة الرومانية نشأت قرية لحراسة مدخل الوادي، في موقع قرية اللجون، حيث رابطت فيها الفرقة الرومانية السادسة.

إن نص تحتس الثالث هو أقدم وصف معروف لمعركة في التاريخ، وقد اكتسبت مجدو، ربما بسبب هذه المعركة، شهرتها كساحة حرب عالمية، إذ نجد في رؤيا يوحنا ذُكر جبل مجدو (ارماجدون) كمكان تجري فيه آخر الأيام المعركة الفاصلة بين ملوك العالم.

جرت تنقيبات موسعة في تل المتسلم على مدار القرن الحالي، ففي الفترة ما بين ١٩٠٣ - ١٩٠٥ قامت الجمعية الألمانية للأبحاث الشرقية بالتنقيب في الموقع تحت إشراف شوماخر (Schumacher, 1908) (Watzinger, 1929) وفي الفترة ما بين ١٩٢٥ - ١٩٣٩ جرت تنقيبات موسعة من قبل المعهد الشرقي في جامعة شيكاغو، تحت إشراف كل من فيشر وغوي ولويد (Lamon, 1935 Lamon and Shipton, 1939) (Loud 1939, Loud 1939) أدت إلى الكشف عن مساحات هامة من المدينة. وفي الفترة ما بين ١٩٦٠ - ١٩٧١ عاود الإسرائيليون التنقيب في الموقع بهدف إعادة تفسير الدلائل الأثرية من التنقيبات السابقة (Yadin 1970). وما زالت التنقيبات الموسمية جارية في الموقع حتى الوقت الحاضر.

تعود أقدم الدلائل الأثرية في الموقع إلى العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري (القرن السادس ق.م.)، وقد وجدت في كهف صغير في الموقع. كما أظهرت التنقيبات دلائل تعود للعصر الحجري النحاسي (الألف الرابع ق.م.). ودلت التنقيبات الأثرية في تل المتسلم على بقايا بناحية لمدينة كبيرة، تأسست في العصر البرونزي المبكر (الألف الثالث ق.م.)، ممثلة بالمباني وسور المدينة والمعبد والقصر، على أساس مخطط مديني كواحدة من أقدم المدن في فلسطين. وقد أظهرت التنقيبات دلائل من الفترات المتعاقبة لمدينة العصر البرونزي المبكر، الثاني والثالث، وهي بقايا مدينة مسورة ذات مبان عامة كالقصور والمعابد. ومع نهاية العصر البرونزي المبكر تعرضت المدينة للتدمير، لتعقبها دلائل الفترة الإنتقالية. وأعيد مع بداية العصر البرونزي الوسيط الثاني تأسيس المدينة ذات التحصينات والبوابة والعديد من المباني العامة وبيوت السكن. وتمثل هذه الفترة أوج ازدهار المدينة. كما ظهرت آثار العصر البرونزي المتأخر التي تشير إلى عدم وجود تغييرات جوهرية في مخطط المدينة، رغم إضافة العديد من المباني فيها. وتتعاثر آثار العصر البرونزي مع نقش تحتس الثالث. وتشير العاجيات المكتشفة في

مجدو إلى علاقات المدينة بمصر. كما تم الكشف عن النظام المائي للمدينة والمقابر التي تحيط بها. وأظهرت التنقيبات دلائل تعود للعصر الحديدي. وآخر فترات الإستيطان في المدينة تعود للفترة الفارسية.

النص^(١)

حورس: العجل العظيم يظهر في طيبة..... (تحتمس الثالث)
أمر جلالته بتدوين جميع الإنتصارات التي منحها إياه أبوه آمون على النصب الذي شيده جلالته
(لأبيه آمون)، كل حملة على حدة، مع الغنائم التي جلبها (جلالته) فيها، وجميع الجزية من كل بلد
غربية منحها له أبوه آمون رع.

السنة الثانية والعشرون، الشهر الرابع من الفصل الثاني، اليوم الخامس والعشرون^(٢) (عبر جلالته
حصن سيلا^(٣)) في حملته الأولى المظفرة (والتي قام بها الملك لتوسعة حدود مصر بالظفر والإقتدار
والحجة)، ولأن هذا كان قبل سنوات طويلة.... نهبا، حين كان كل إنسان دافعاً للجزية قبل ذلك.....
ولكن حدث في زمن لاحق أن الحامية التي رابطت هناك كانت في مدينة شاروحين، في حين أن البلاد من
يرزا وحتى نهاية العالم أعلنت العصيان على جلالته.^(٤)

السنة الثالثة والعشرون، الشهر الأول من الفصل الثالث، اليوم الرابع هو يوم عيد تتويج الملك،
وصلنا إلى المدينة التي استولى عليها الحاكم (واسمها السوري) غزة.^(٥)
السنة الثالثة والعشرون، الشهر الأول من الفصل الثالث، اليوم الخامس، تركنا المكان بالظفر والإقتدار
والحجة للإطاحة بالعدو الشرير^(٦)، ولتوسعة حدود مصر حسب أوامر أبيه آمون رع المظفر، والتي
عليه الإستيلاء عليها.

السنة الثالثة والعشرون، الشهر الأول من السنة الثالثة، اليوم السادس عشر^(٧)، حتى مدينة يخم
(عقد جلالته) اجتماعاً مع جيشه المظفر قائلاً مايلي:

دخل العدو الشرير أرض قادش إلى مجدو، وهو الآن مرابط فيها. وقد جمع له (كافة) أمراء البلاد
الأجنبية، التي كانت موالية لمصر، كذلك أولئك حتى نهارين وميناني ومن حورو وكودي بخيولهم
(وشعبهم)، لأنه قال، كما من قبل، سوف أنتظر (هنا) في مجدو (للحرب ضد جلالته)، هلا أخبرتموني
(ماذا يعتمل في قلوبكم!)^(٨) قالوا في حضرة جلالته: ماذا سنفعل بهذه الطريق التي أصبحت ضيقة!
فقد نقل بأن الخصم ينتظر هناك عند المخرج، وعددهم في ازدياد... وهل ستسير الخيل واحدة إثر واحدة،
وكذلك الجيش والناس؟.. وهل ستحارب طليعة الجيش منا في حين سيكون (حرس المؤخرة) ينتظرون
في أرونا غير قاديرين على القتال^(٩). والآن، هناك طريقان، أحد الطريقين، أبصروا، إلى الشرق منا توصلنا
إلى تعنك، والثاني، أبصروا، يقع إلى الشمال من جفتي^(١٠)، وينتهي إلى الشمال من مجدو.

والآن يدعو الرب المظفر يختار قداماً واحداً منها، والتي هي مقنعة لقلبه، ولكن لا تدعونا نأخذ الطريق
الصعبة.

ثم (جيء بالرسائل حول العدو الشرير واستمر النقاش (لهذه القضية)، التي سبق الحديث فيها،
وما قيل في حضرة جلالته، الحياة والنعمة والصحة!^(١١) إنني أقسم كما رع يحبني وكما آمن اصطفاني،

وكما أن خياشيمي تتجدد بالحياة والقناعة، بأن جلالته سيمضي في طريق أرونا! دعه يا من أردت المضي في الطرقات التي تكلمت عنها، دعه إلى المجيء في اثر جلالته! ابصروا، سيقول هؤلاء الأعداء الذين يمهقون رء، بأنهم قد جعلوا جلالته ينطلق في طريق آخر لأن الخوف قد تملكه منا، هكذا سيقولون. وقالوا في حضرة جلالته: ليجعل الأب آمون سيد عرش الأرضين، مبعلاً فوق الكرنك، يفعل (حسب رغبتهم)، أنظروا، إننا سنتبع جلالته أينما مضى لأن العبد يتبع سيده.

بعد ذلك أصدر جلالته التعليمات للجيش كله، (الكل سوف يسير بعجلة على خطى سيدكم المظفر في تلك الطريق التي أصبحت ضيقة جداً، أبصروا، فإن جلالته قد أقسم قائلاً (لن أدع جيشي المظفر يتقدم إلى الأمام من مجلسي (هذا المكان ولأن جلالته وضع هذا في قلبه) بأنه يتقدم بنفسه (وكل شخص) أصبح عارفاً أمره بالزحف، فرساً إثر فرس، في حين كان جلالته على رأس جيشه.

السنة الثالثة والعشرون، الشهر الأول، من السنة الثالثة، اليوم التاسع عشر^(١٣) - النهوض في الحياة) في خيمة الحياة والنعمة والصحة في بلدة أرونا، متقدماً بجلاي صوب الشمال، حاملاً أبي آمون رء سيد عرش الأرضين (حيث يمكنه فتح الطريق أمامي)^(١٤)، في حين شكل هار -أختي قلب جيشي المظفر وشد أبي آمون أزر سلاح (جلالتي).

ثم انطلق جلالته إلى الأمام^(١٥) (على رأس جيشه) المجهز من مراتب مختلفة، ولم يواجه عدواً (واحداً) فجناحهم الجنوبي في ثعنك في حين كان جناحهم الشمالي في الجهة الجنوبية من وادي كينا^(١٦). عندها قال جلالته مهلاً: لقد هزموا! في حين كان العدو (الشرير)... العظمة والمجد لعزيمة جلالته، لأن جيشه أعظم من أي جيش. ونجت فعلاً مؤخرة جيش جلالته في أرونا. وفيما كانت مؤخرة جيشه ما زالت في أرونا، فإن طليعته قد دخلت وادي كينا لتملاً فم الوادي.

ثم قالوا لجلالته الحياة والنعمة والصحة، أبصروا، لقد جاء جلالته.... بجيشه المظفر وقد ملأوا الوادي.

وليستجب لنا الإله المظفر هذه المرة، ليجعل السيد يحمي مؤخرة جيشه وشعبه، وحين تصل مؤخرة الجيش إلى السهل، سنحارب هؤلاء الغرباء، وعندها لن تجزع قلوبنا على مؤخرة جيشنا. توقف جلالته في الخارج، جالساً هناك يحرس مؤخرة الجيش وشعبه، وحين تصل مؤخرة الجيش إلى السهل، سنحارب هؤلاء الغرباء، وعندها لن تجزع قلوبنا على مؤخرة جيشنا. توقف جلالته في الخارج، جالساً هناك يحرس مؤخرة الجيش المظفر، والآن بدأ القادة في القوم إلى الطريق مع زوال الظل^(١٧)، وقد وصل جلالته جنوب مجدو، على ضفة جدول كينا في الساعة السابعة من اليوم نفسه.

وهنا نصب مخيم لجلالته وصدرت الأوامر للجيش كله (تأهبوا، أعدوا أسلحتكم، لأن الواحد^(١٨)) سيدخل غداً صباحاً في قتال مع العدو الشرير، لأن الواحد....!

مقيماً في مخيم الحياة والنعمة والصحة^(١٩)، معيلاً الرسميين وموزعاً الجرايات على الحاشية، واضعاً حراساً للجيش قائلاً لهم: الثبات الثبات، اليقظة اليقظة، مستنهضاً الحياة في خيمة الحياة النعمة والصحة، ثم جاءوا لإبلاغ جلالته: الحالة جيدة، وحاميات الجنوب والشمال كذلك.

السنة الثالثة والعشرون، الشهر الأول من الفصل الثالث، اليوم الحادي والعشرون، يوم عيد القمر الجديد الحقيقي^(١٩)، ظهر الملك عند انبلاج الفجر، وصدرت الأوامر للجيش كله بالزحف، وتقدم جلالته على عربة من الذهب الخالص، شاكاً سلاح الحرب، مثل حورس، إله الحرب ورب الأعمال، مثل مونتو الطيبي، حيث منح أبوه آمون جيشه القوة. وكانت ميسرة جيش جلالته مرابطة على تلة إلى الجنوب من جدول كينا، وميمنة جيشه جنوب غرب مجدو، في حين كان جلالته في القلب، وآمون هو حامي شخصه في القتال، وقوة سيث تعم على أفراده.

وحالما ساد جلالته عليهم وهو على رأس جيشه، وأبصروا كيف تغلب جلالته عليهم، لاذو بالفرار إلى مجدو على وجه السرعة، يعلو سيماهم الخوف، تاركين خيولهم وعرباتهم الذهبية والفضية، إلى الحد الذي يمكن فيه للواحد أن يتقدم بشاراتهم، والآن قام هؤلاء الناس بإغلاق المدينة أمامهم، ولكنهم تركوا شاراتهم (لرفعها) عند الدخول إلى المدينة.

والآن لو أن جيش جلالته فقط لم ينشغل قلبه بجمع غنائم العدو، لكانوا (استولوا) على مجدو في اللحظة ذاتها. بينما اندفع عدو قادش الشرير والعدو الشرير في المدينة بعجلة للتحصن داخل المدينة، لأن الخوف من جلالته قد دب في نفوسهم وجيشهم الضعيف خارت قواه، ذلك أن إكليل الحية قد استولى عليهم.

ثم الإستيلاء على خيولهم وعرباتهم الذهبية والفضية بيسر، وكان صف منهم ممددين على ظهورهم كأسماك علقت في الشبكة، بينما أحصى جيش جلالته المظفر ممتلكاتهم، والآن تم الإستيلاء على خيمة العدو الشرير.

وابتهج الجيش كله مسبحاً بحمد آمون (بهذا النصر) الذي أعطاه لابنه في (هذا اليوم). وقد مجدوا جلالته، وأطروا على انتصاراته، ثم أبرزوا الغنائم التي حصلوا عليها: الأيدي^(٢٠) والأسرى الأحياء، والخيول والعربات الذهبية والفضية والأغراض المزخرفة.

ثم أمر جلالته جيشه بالكلمات: استولوا على كل شي جيشي المظفر؟ انتبهوا (كل البلاد الأجنبية) قد وضعت في هذه المدينة بأمر من رع في هذا اليوم، نظراً لأن أمراء كافة البلدان الشمالية محاصرون فيها، والإستيلاء على مجدو كالإستيلاء على ألف مدينة؟ استولوا عليها بثبات بثبات.

وصدرت الأوامر إلى قادة الجيوش لنقلها إلى قادة الفرق والأفراد كل في مكانه. وقاسوا المدينة التي يطوقها خندق ومسيجة بالأخشاب الجديدة من أشجارها الجميلة، بينما كان جلالته نفسه في غابة إلى الشرق من المدينة، مراقباً..... (محاطاً) بسور كالحزام..... وعند طوق السور. من خير - رع هو مطوق الآسيويين. وعين أناس، كخفر حول مخيم جلالته، وقيل لهم: رع، الثبات الثبات، اليقظة، اليقظة.... جلالته. (ولم يسمح) لأحد منهم بمغادرة مكانه، والخروج من وراء السور، إلا.... طرق على باب حصنهم^(٢١).

والآن كل ما قام به جلالته لهذه المدينة، والعدو الشرير وجيشه قد وضع في يوم واحد وحملة واحدة. وقاد الجيوش..... وضعت لفيفة من الجلد في معبد آمون اليوم.

والآن جاء أمراء البلاد الأجنبية يزحفون على بطونهم، مقبلين الأرض على ظفر جلالته، يتوسلون

الأنفاس لمناخرهم، لأن جيوشه كانت على درجة من العظمة، ولأن بسالة آمون كانت عظيمة جداً، تفوق كل البلاد (الأجنبية).... (جميع) الأمراء الذين تفوق جلالته ببسالة عليهم يحملون أموالهم من الذهب والفضة والتركواز، ويحملون الحبوب والخمر والقطعان الصغيرة والكبيرة لجيش جلالته، وجموع منهم يحملون العطايا نحو الجنوب.... ثم عين جلالته أمراء جدد (لكل مدينة).

(وقائمة الغنائم التي فاز بها جيش جلالته من مدينة) مجدو: ٣٤٠ أسيراً حياً، ٨٣ يداً، ٢٠٤١ فرساً، ١٩١ مهراً، ٦ فحول، و.... مهراً، وعربة مصنعة بالذهب، وتمثالاً ذهبياً يعود لهؤلاء الأعداء، وعربة جميلة مصنعة من الذهب تعود لأمير (مجدو) ٠٠٠٠ و٨٩٢ عربة للعدو الشرير - المجموع ٩٢٤، ودرع برونزي جميل يعود لأمير (مجدو)، و ٢٠٠ من أغطية الدروع تعود لجيشه الشرير، و ٥٠٢ قوساً، و ٧ فؤوس من الخشب، مصنعة بالذهب من معسكر العدو.

والآن غنم جيش جلالته (قطعان) ٠٠٠٠ و٣٨٧ و١٩٢٩ بقرة، و ٢٠٠٠ من الماعز و ٢٠٥٠٠ من الأغنام، من مؤونة هذا العدو (الذي كان) في ينعمو ونوجس وهرناكيرو^(٢٢)، من ممتلكات هذه المدن التي خضعت له، و ٣٨ و٠٠٠٠ مريانو تعود لهم، و ٨٤ طفلاً للأعداء وللأمير ممن كانوا معه، و ٥ مريانو^(٢٣) تعود لهم، و ١٧٩٦ من الرجال والنساء العبيد مع أطفالهم، و ١٠٣ شخصاً صفح عنهم، من الذين جاءوا من صفوف العدو بسبب الجوع، و مجموعهم ٢٥٠٣، إلى جانب الصحاف من الحجارة الثمينة والذهب والأواني المختلفة، و جرة من صنع سوري، والجرار والصحاف والصحون وأواني الشرب المختلفة، وأباريق كبيرة، و ١٧ سكيناً بزنة ١٧٨٤ وحدة^(٢٤)، وسبائك الذهب في حالة التصنيع، بالإضافة إلى كمية كبيرة من السبائك الفضية، تساوي ٩٦٦ وحدة.... واحد^(٢٥)، وتمثال ذهبي..... (تمثال).... برأس ذهبي، و ٣ عصي للمشاة برؤوس، على شكل إنسان وستة عربات نقل لهذا العدو من العاج والأبنوس وخشب الخروب، مصنعة بالذهب وستة مساند للقدمين تعود لهم، وستة طاوولات من العاج وخشب الخروب مصنعة بالذهب، وجميع أنواع الحجارة الكريمة، على شكل كركر^(٢٦) مصنعة تماماً بالذهب، وتمثال لهذا العدو هناك من الأبنوس مصنع بالذهب، ورأسه من اللازورد....، وأواني برونزية، والكثير من ملابس هؤلاء الأعداء.

والآن قسمت الحقول إلى قطع مزروعة، وعينت عليها مراقبين من القصر - الحياة والنعمة والصحة - من أجل جمع محصولها. أما قائمة الغلال التي فاز بها جلالته من حقول مجدو ٢٠٧٣٠٠ كيساً من القمح^(٢٧)، إلى جانب ما اقتطع منه كمؤنة لجيش جلالته.

حمدان طه

الهوامش:

- ١ - اعتمدت ترجمة هذا النص على الترجمة الإنجليزية لجون و يلسون المنشورة في
The Ancient Near East. Vol.I. An Anthology of Texts and Pictures, edited by J.B. Pritchard.
وتشير النقاط إلى قطع في النص أما الأقواس فهي قراءة تكميل للمترجم و يلسون على النص الهيروغليفي
غير الواضح.
- ٢ - تقريباً السادس عشر من شهر إبريل سنة ١٤٦٨ أما التاريخ الدقيق فيعتمد على ما يقصده المصريون
بالقمر الجديد.
- ٣ - أو ترجو وهي حامية حدودية مصرية بالقرب من مدينة القنطرة الحالية.
- ٤ - من جنوب فلسطين إلى شرق سوريا.
- ٥ - حسب تكهنات بركاردت وصل المصريون إلى غزة بتاريخ ٢٥ إبريل سنة ١٤٦٨، وقد ساروا بمعدل ١٥٠
ميلاً في تسعة أو عشرة أيام، وحيث أن هذا التاريخ هو عيد تتويج تحتمس الثالث، فقد تغير الرقم من ٢٢ إلى ٢٣.
- ٦ - كان أمير قادش قائداً للتحالف ضد مصر.
- ٧ - السابع من أيار سنة ١٤٦٨ (بوركاردت) وبعد مغادرة مدينة غزة التي تقع تحت السيطرة المصرية فإن
مسيرة الجيش كانت أكثر بطئاً لمرورهم في بيئة معادية. ويعتقد بأن ٨٠ ميلاً تحتاج إلى أحد عشر أو اثني عشر
يوماً من المسير. ويخم يمكن أن تكون جهة، وقد عرفها نلسون بموقع يمنا على الجهة الجنوبية لسلسلة جبال
الكرمل.
- ٨ - يحتمل من طبيعة هذا التحالف، ومن خلال حملات تحتمس اللاحقة، بأن قادش هي مدينة تقع على نهر
العاصي.
- ٩ - إذا ما ساروا إلى الأمام في المعبر الضيق المفضي إلى الشرق من مجدو يتوجب عليهم السير في رتل واحد،
بما سيجعلهم عرضة للهجوم.
- ١٠ - تم نقاش مقترحين للطرق الجبلية الآمنة كبدائل، واحد يفضي إلى السهل عند تعنك على بعد ٤ - ٥ أميال
جنوب شرق مجدو، والآخر يفضي إلى نقطة غير معروفة شمال غرب مجدو.
- ١١ - هذا صوت العرش فالبلاط انتقل مع الفرعون.
- ١٢ - بعد ثلاث أيام من الوصول إلى يخم.
- ١٣ - قاد آمون الطريق.
- ١٤ - من المعبر إلى سهل مجدو.
- ١٥ - كينا ما زالت ممثلة بجدول يصب جنوب مجدو، وحينما قال لقد هزموا! فقد كان يتوقع هزيمة الكنعانيين
لأنهم فشلوا في حراسة هذا المعبر.
- ١٦ - كان الوقت ظهراً وتحولت ساعة الظل، وهكذا وصلت مقدمة الجيش المصري سهل مجدو، قبل وصول
مؤخرة الجيش بسبع ساعات، وقبل دخول تحتمس الثالث إلى المخيم.
- ١٧ - الفرعون.
- ١٨ - لا بد أن المخيم كان سرادقاً مطرزاً.

- ١٩ - يؤرخ بوركارث المعركة في الثاني عشر من أيار لسنة ١٤٦٨.
- ٢٠ - مقطوعة من قتلى الخصم كإشارة لإنجازات المعركة.
- ٢١ - يسمح للكنعانيين المحاصرين بالظهور فقط عند النقر على الخشب حين يطلبهم المصريون.
- ٢٢ - تقع رنتو العليا ربما في المناطق الجبلية شمال فلسطين وجنوب سوريا وينعمو يمكن أن تكون أي منطقة، وبحيرة الحولة والمدن الثلاث، يمكن أن تكون في مكان ما في هذه المنطقة.
- ٢٣ - ماريانو هم فئة المحاربين أو الضباط في آسيا في هذا الوقت.
- ٢٤ - حوالى ٤٣٥ ليبرة (وحدة وزن رومانية قديمة تعادل ٣٢٧,٤٥ غرام)، وهي وزن بقيمة المعادن ربما على أساس الفضة للقطع المسجلة.
- ٢٥ - حوالى ٢٣٥ ليبرة، وهو وزن غير مؤكد من الجلد أو الفضة أو بالقيمة المشتركة لكل منهما.
- ٢٦ - قطعة من الخشب غير معروفة.
- ٢٧ - وهي تعادل حوالى ٤٥٠,٠٠٠ مكيالاً، ويساوي المكيال حوالى ٣٢,٥ لترًا.